Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 49, No. 6, Supplement 1, 2022

Deanship of Scientific Research

Persuasion Mechanisms in Bilqis Story in Surat An-Naml

Nahla Al Shalabi, Tar Abdallahi *

Al Ain University, United Arab Emirates.

Received: 7/6/2021
Revised: 17/8/2021
Accepted: 20/10/2021
Published: 30/12/2022

* *Corresponding author:*
tar.abdallahi@aau.ac.ae

Citation: Al Shalabi, N., & Abdallahi, T. (2022). Persuasion Mechanisms in Bilqis Story in Surat An-Naml. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *49*(6:), 433–446. https://doi.org/10.35516/hum.v49i6:.4040

© 2022 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Linguistic Argumentation Theory offers new conceptions of meaning. It is one of the novel semantic theories that seek to uncover the logic of language: the internal rules of discourse governing the order of words and their gradual sequence. Relying on this theory, the present paper highlights the argumentative aspects and their persuasive mechanisms in the feminist argumentation found in Bilqis's speech. It sheds light on the objectives of this argumentation, the contexts in which it occurs, and what distinguishes it from other types of argumentation. The paper paid attention to the argumentative discourse used by Bilqis and attempted to deconstruct the argumentative structures it is made up of. It highlighted some of her personal qualities, namely reason and good governance. It observed a shift in discourse levels. While Bilqis was the one directing the discourse, especially in the first section when she was the Queen, she seemed to be the weakest link in the second section; her speech was characterized by gentleness and leniency.

Keywords: Structure of linguistic argumentation; mechanisms of persuasion; semantic meaning; pragmatics.

آليات الإقناع في قصّة بلقيس في سورة النّمل

نهلة الشلبي، التار عبدالله*

جامعة العين، الإمارات العربية المتحدة.

ملخّص

تقدّم نظريّة الحجاج اللّغويّ أو (اللسانيّ) تصوّرات جديدة حول المعنى، وهي إحدى النّظريات الدّلاليّة الحديثة الّتي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة أي: القواعد الدّاخليّة للخطاب التي تتحكّم في تسلسل الأقوال وتتابعها على نحو تدريجيّ؛ لذا هدفت الدّراسة إلى الكشف عن الجوانب الحجاجيّة وآلياتها الإقناعيّة في خطاب (بلقيس (في سورة)النّمل)، ملقية الضّوء على مراميه والمواقف الّتي يجري فيها، وما يميّزه عن غيره من أنواع الحجاج الأخرى. تبيّن للدّراسة بعد تسليطها الضّوء على الخطاب الحجاجي لدى (بلقيس)، ومحاولتها تفكيك جملة من البنى الحجاجيّة المكوّنة له، بعض مميزات بلقيس الشّخصية، من عقل وحسن تدبير؛ حيث رصدت الانتقال في مستويات الخطاب، فقد كانت بلقيس في بعض الحلقات العنصر الموجّه للخطاب بغية الإقناع والتّأثير في نفوس السّامعين، وذلك عند تربّعها على المُلك في المقطع الأوّل، أمّا في المقطع الثّاني فكانت العنصر الأضعف؛ لذا اتّسم خطابها بالليونة واللّطف.

الكلمات الدالة: بنية الحجاج اللغويّ، آليات الإقناع، المعنى الدّلالي، التّداوليّة.

المقدمة:

إنّ البحث في القرآن الكريم باتساع خطابه وشموليته، عمل لا تنضب مادّته، ولا يقلّ زاده؛ ذلك أنّه رسالة الله إلى العالم كلّه الذي علّم الناس فيه كيف يفكّرون، وكيف يستنبطون الأحكام العقليّة المبنيّة على نتائج منطقيّة؛ لتحقيق المقاصد القائمة على البرهنة والاستدلال.

اتّخذ الخطاب القرآني من العقل وسيلة وغاية في الوقت نفسه، فخاطبه وحاججه لإحداث التّغيير الذي هدفت إليه جميع الرّسالات السّماويّة، حيث بنيت العلاقة بين الخطابين (القرآنيّ والحجاجيّ) على استراتيجيّات لغويّة خاصّة بكلّ منهما، تقوم **على أساس توظيف** اللّغة بعدّها نشاطًا يمارس من قِبل المتكلّم؛ للتأثير في السّامع داخل بنية تركيبيّة محدّدة تخضع لقواعد استدلاليّة واستنتاجيّة ترتبط بهما ضمن إطار سياقيّ اجتماعيّ ونفسيّ وتواصليّ مُعيّن. وبذا، يتمّ رصد العلاقات بين الأنماط التّركيبيّة المختلفة وإظهار وظائفها الإفصاحيّة (لكحل، د.ت).

إنّ إبراز المنهج اللساني التّداوليّ في دراسة الخطاب القرآنيّ، الذي يمتلك وسائل الإيضاح والإبانة عن الدّلالات المختلفة، سيُسهم في وصفه ورصد خصائصه وتفسير ظواهره الخطابيّة؛ لأنّ التّداوليّة تختصّ بتحليل الكلام، وببيان وظائف الأفعال الكلاميّة وخصائصها خلال إجراء عمليّة التّواصل، ويتجلّى توظيفها في دراستنا هذه؛ للنّظر في حجاج الملك سليمان الذي مارسه بمنطق توصيليّ مع الملكة بلقيس، عندما دعاها للانضمام إلى ملكه بطرق برهانيّة ملائمة للإقناع، من أجل عبادة إله واحد هو (الله) في اتّجاهين هامّين في دراسة اللّغة هما:

أ. القصديّة الّتي تقوم على ربط اللّغة كمنظومة من القواعد المجرّدة، بالأغراض والمقاصد المراد تأديتها في إطار التّواصل اللّغويّ. وإذا ما تتبّعنا العديد من الأساليب في اللّغة كالتّعجّب، والنّفي، والإثبات، والحذف، والزّيادة، فإنّنا سنجد علاقة بينها وبين مستعملها، وطرائق استخدامها؛ لأنّ دلالة الكلام مبنيّة على معرفة المقاصد.

ب. المعطيات السّياقيّة الّتي تتطلّب دراسة معاني الكلام ودلالاته ومعرفة نسقه ونظمه، إضافة إلى معرفة الموقف، والحالة الكلاميّة الّتي ترافق عمليّة الكلام، والمعرفة المشتركة بين طرفيّ الخطاب.

وعليه، فستعمد الدّراسة إلى تحليل البنية اللّغويّة في قصّة بلقيس من سورة النّمل، كنموذج للحجاج في القرآن الكريم، ثمّ اكتشاف آليات بنية حججها، ثمّ توصيف أنماطها وقوّة تأثيرها في المخاطبين، وذلك من خلال ثلاثة مباحث تناقشها الدّراسة فيما هو آت:

المبحث الأوّل: بنية الألفاظ الحجاجيّة.

المبحث الثّاني: بنية الحجاج المنطقيّ.

المبحث الثّالث: الرّوابط الحجاجيّة و أثرها في البناء النّصيّ.

التّمهيد:

الدّلالة اللّغويّة للفظ الحجاج:

من خلال استقصاء المعاجم اللغويّة؛ لاستجلاء المعاني الّتي تحيل إليها مادّة (حجج) وجدنا أنّ الحِجاج والمحاججة مصدر للفعل (حاجَّ). نقول: حاججتُ فلانًا أي: نازعته وناظرته وغلبته بالحجّة الّتي أدليت بها، ويأتي الحجاج بمعنى المجادلة الّتي يسببها خلاف الرّأي أو الوجهة أو ما شابه ذلك، حيث يسعى المُجادل إلى التّغلّب على خصمه في الكلام والخطاب باستخدام الحجّة والبرهان(ابن منظور، 1997).

يظهر ممّا سبق ذكره أنّ الحجاج يكون لخصومة بين(مرسل ومستقبل) أي غالب ومغلوب، وما دامت هناك خصومة، فالجدال هو المظهر الذي يجسّد في الخطاب الحجاجيّ، حيث تكون الغلبة(القوّة) في الكلام لمن يقدّم برهانًا أو حجّة؛ ليثبت صحّة ادّعائه حسب ما أظهره المعنى الوارد عند ابن منظور أيضًا في اللّسان:"وقيل: الحُجَّة مَا دوفع به الْخصْم، وهو رجل محجاج أَي جَدِلٌ. والتّحاجّ: التّخاصم؛ وجمع الحُجَّة: حجج وحجاج" (ابن منظور، 1997). وبذا، يثبت أنّ الحجاج أسلوب استدلاليّ عقليّ يستعمله المرء للدّفاع عن وجهة نظره لفكرة أو مجموعة أفكار تدور في ذهنه، بتوظيف أساليب الحجاج من تأكيد أو نفي أو غيرها بالاعتماد على دلائل وبراهين.

وعليه، فإنه من الممكن تمثيل المعنى اللّغويّ للخطاب الحجاجي، الذي يعدّ جدالًا بين طرفين، يكون المرسل فيه هو المُحاجِج(اسم فاعل)؛ أي المجادِل، الذي يتغلب على خصمه بعد توظيفه لأساليب الحجاج المختلفة، واستناده إلى جملة من التّفسيرات المنطقيّة التي يعضد بها منطقه، أمّا المستقبل فهو المحاجَج(اسم مفعول)؛ أي المجادَل، الذي يستمع إلى الحجج والبراهين التي يقدّمها(المرسل) ويسلّم بها.

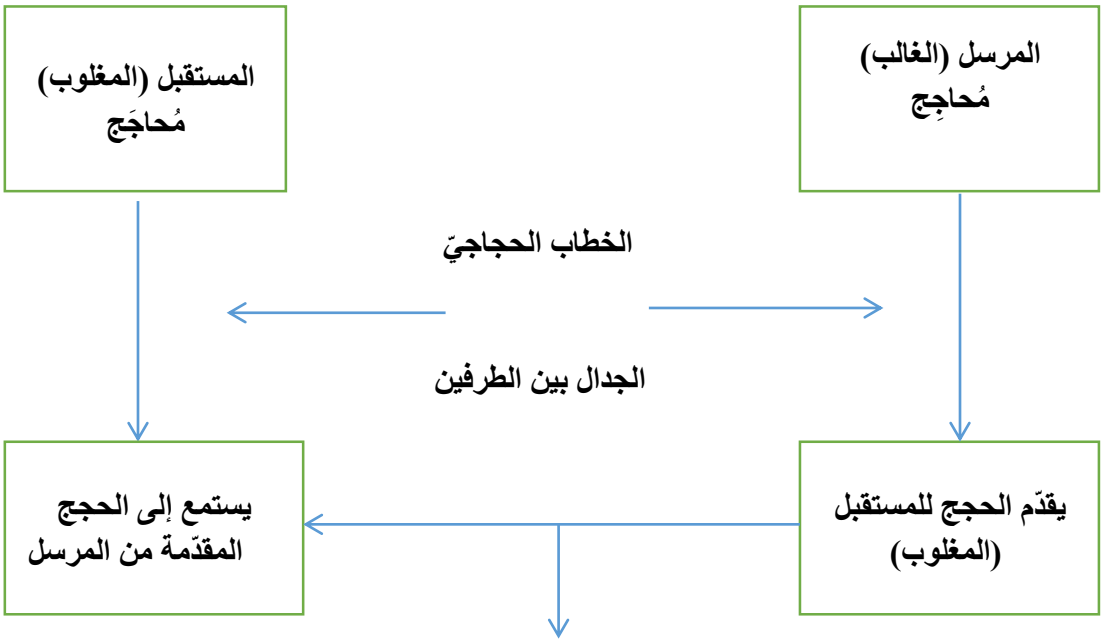

جدال + تقديم (حجج) = قوّة في الكلام ينتج عنها ثبوت ادّعاء

ج + ح = (ث) (ا)

الدّلالة الاصطلاحيّة للفظ الحجاج:

واجه الباحثون صعوبات عدّة، بسبب اختلاف العلماء في تحديد مفهوم واضح للحجاج، وذلك لتعدّد مجالاته وتشعّب استعمالاته في كثير من الحقول المعرفيّة الّتي تخوض عبابه؛ إذ نجده "متواترًا في الأدبيّات الفلسفيّة والمنطقيّة والبلاغيّة التّقليديّة، وفي الدّراسات القانونيّة والمقاربات اللّسانيّة والنّفسانيّة والخطابيّة المعاصرة" (طروس، 2005).

وعند استقراء الدّراسة لمعظم التّعريفات في المصادر القديمة الّتي مسّت الحجاج، الذي ورد بمعنى (الاستدلال، والبرهان، والجدل، والحوار والمناظرة)، تبيّن لها أنّه علاقة (تخاطبيّة) اتّصاليّة تصبّ في دائرة (الإقناع) الذي يهدف إلى ردّ رأي برأي أقوى منه، ما يؤدّي إلى "حمل السّامع على التّسليم بصحّة المقول وصواب الفعل أو التّرك" (محفوظ، د.ت)، محوراها المرسل والمستقبل ومجراها قضيّة ما؛ إذ يستند المرسل فيها إلى جملة من البراهين والحجج والتّفسيرات المنطقيّة التي يعضد بها منطقه؛ بهدف التّأثير في المستقبل وإقناعه بصحة ما يبسطه.

وأوضح تعريف للحجاج قدّم كما أجمع الباحثون هو التّعريف الذي قدّمه طه عبد الرّحمن في كتابه(في أصول الحوار وتجديد الكلام)؛ حيث يقول:" وحدّ الحجاج أنّه فعالية تداوليّة جدليّة فهو تداوليّ؛ لأنّ طابعه الفكريّ مقاميّ واجتماعيّ؛ إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الأحوال، وهو أيضًا جدليّ؛ لأنّ هدفه إقناعيّ قائم بلوغه على التزام صور استدلاليّة أوسع وأغنى من البنيات البرهميّة الضّيّقة" (عبدالرحمن، 2000).

وكذا ترى الدّراسة؛ إذ يَجمع تعريف(طه عبد الرحمن) بين الوظيفة التي يقوم بها الحجاج داخل الخطاب، والمعنى اللّغوي، فالحجاج من الجانب العمليّ يصبح بُعدًا من أبعاد الخطاب الإنسانيّ؛ مستمدًا معناه ووظائفه من خصوصيّة الحقل التّواصليّ الذي تظهره استراتيجياته المتّبعة سواء فرديّة كانت أو جماعيّة. وبذا، فإنّ الحجاج يمكن أن يُمارس بلغة منطوقة أو مكتوبة، بوصفه الآلية اللّغوية الأكثر بروزًا لإقناع المستقبِل واستمالته والتّأثير فيه، ولأنّ التّداول اللّغوي يشترط فيه(الإقناع)، تجد المرسل يتحرى استعمال تقنيات الخطاب التي تمكنه من تغيير معتقدات وتصوّرات المستقبل بواسطة الوسائل اللّغويّة؛ مستنفدًا من أجل ذلك جميع طاقاته الإقناعية(العقليّة) للدّفاع عن وجهة نظره التي يسعى إلى إثباتها؛ منطلقًا من المعطيات التي يمتلكها المستقبل؛ لأنّ المحاججة لا تجدي نفعًا إذا لم تعتمد على منطق(العقل) عند طرحها للحجج المضادّة للحجج التي يركّز عليها المستقبل في خطابه.

وبناء عليه، يعمد المرسل إلى بناء أدلته على مقتضى ما يتعين على المستقبل أن يقوم به، فيمكنه ذلك من وضع الاستفسارات والاعتراضات التي قد يطرحها المستقبل، ويساعده – أيضًا - على استحضارمختلف الإجابات المتوقّعة، واكتشاف إمكانات تقبّلها واقتناع المستقبل بها، فيتحقق اقتناعه تراكميًا بالحجج المقدمة.

الدّراسة النّصية:

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ ۝ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ

أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ۝ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ۝ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۝ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ۝ قالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنْ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [النمل: 29–44].

المبحث الأول: بنية الألفاظ الحجاجيّة

نعرض في هذه الدّراسة للألفاظ المكوّنة للحجاج؛ محاولين استقصاء المعاني المؤلّفة للمحاورة ومجاريها، مركّزين على الألفاظ الجوهرية التي أدّت أدوارًا في نقل الحجاج، وتتبّع محطاتها في الخطاب حتّى النهاية.

المقطع الأول:

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 29–35].

أ. النداء: الملأ، الإلقاء، الكتاب، سليمان، العلو، الإتيان، الاستسلام.

لمّا أخبر الهدهد سليمان عن مُلك بلقيس وشأن قومها، بعث لها كتابًا يدعوها فيه إلى الانضمام إلى ملكه العظيم بغية عبادة الله، ولمّا وصل الكتاب إلى بلقيس نادت أهل الفتيا بـ(أل الاستغراقيّة) ليعقدوا ندوة طارئة يعالجوا فيها أمر النازلة، ويجدوا لها حلًا مناسبًا، مستخدمة أسلوب النداء"يا أيها الملأ"، يا حرف يخاطب به المنادى البعيد، غير أنّه هنا عُدل به عن أصله، حيث نقل إلى القريب، وهذا انزياح مقصود؛ لأنّه يدل على توكيد الأمر وأهميته. اختلف النحاة في الاستعمال الأصلي ل "يا" في النداء، هل وضعها للقريب؟ أم للبعيد، قال الدّسوقي مبينًا الخلاف:" يا: حرف نداء موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حُكما، وقد يُنادى بها القريب توكيدًا. وقيل: هي مشتركة بين القريب والبعيد"(الدسوقي، د.ت)، مع ملاحظة عدم استثناء البعيدين من الملأ على سبيل الاستقصاء الشّامل لأعيان القوم(*) من أولي الرّجاء والحكمة؛ نظرًا لعظم الخطب وأهمية المقام وحاجته لكلّ ذي رأي سديد.

أيها اسم جعل وصلة للمنادى المعرف بـ"أل"؛ لأنّ القاعدة تقتضي" إذا أريد نداء ما فيه" أَلْ "، يُؤتى قبلَهُ بكلمةِ "أيُّها" للمذكر، و"أَيَتُها" للمؤنث" (الغلاييني، د.ت). فالملأ هم المقصودون بالدعوة، خلا أنّ التعريف ألجأ إلى تقديم أيها، ليتوصل إليها.

وفي استخدام "الملأ" دلالة على كثرة معاونها في المُلك، كما ترشد إلى بعض أوصافهم؛ لأنّها لا تستشير كلّ أحد في تدبير المُلك، وإنما تنتقي الصّفوة الذين يقدرون للمُلك قدره، ذلك أنّ دلالة الملأ في المعجم اللّغوي تومئ إلى الصّفات النّبيلة، فـ(الملأ) هم الأشراف الذين يُلتمس عندهم الرأي السّديد، وهم– أيضًا - الّذين يتمالؤون في النوائب (الزمخشري، 1998). وجميع المعاني التي ذكرت جارية على مستشاري بلقيس، من هنا لجأت إليهم في دجى المشكلات والظّروف المدلهمّة شديدة الالتباس، ظروف الحرب المؤذنة بزوال المُلك والتبعيّة للغير، وكلّ هذا يبعث على الاستشارة لحسن المخرج من سوء مغبّة اتباع الرّأي الفطير، خاصّة إذا تعلّق الأمر بمجابهة مَلك خطير.

لم يكن نداء عِلية القوم لأمر صغير تافه، بل جليل جلل من مَلك جليل؛ لذا صارحت بلقيس المستشارين بما ورد عليها قائلة: ﴿ **إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ** ﴾، فتراها قد فزعت إلى أسلوب التّوكيد **"إِنِّي أُلْقِيَ"**؛ تهويلًا لأمر الرّسالة وتفخيمًا لقدرها وقيمتها وعظم مرسلها، واصفة (الكتاب) بأنّه كريم، وهي لا زالت كافرة، مخبرة بمصدره ﴿ **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ** ﴾، كأنّه قيل ألقي إليَّ أنّه من سليمان؛ معللة كرمه وتصديره إيّاه بـ﴿ **بِسْمِ اللهِ الرّحمن الرّحيم** ﴾، فمن الصّفات اللازمة له أنّه كريم، وللمفسّرين في معناه تأويلات، منها تأويل الرّازي (ت 606هـ) الذي يقول فيه: "ففيه ثلاثة أوجه: أحدها: حسن مضمونه وما فيه، وثانيها: وصفته بالكريم؛ لأنّه من عند ملك كريم، وثالثها: أنّ الكتاب كان مختومًا، فكرم الكتاب ختمه، وكان عليه السّلام يكتب إلى العجم، فقيل له: إنّهم لا يقبلون إلا كتابًا عليه خاتم فاتّخذ لنفسه خاتمًا" (الرازي، د.ت).

أمّا مضمون الكتاب فأخبرت أنّه يدعوها وقومها إلى التّخلي عن الملك، وسرعة الإحضار إلى سليمان، وهذا أمر محزن لها ولقومها؛ إذ يشي بفقدان سلطتها، وانهدام أمرها وجعلها غريبة ذليلة منكسرة من ضمن رعايا ملك آخر بعد أن كانت صاحبة السّلطان الصّلب العتيد، والجنان الفسيحة. هذا هو نصّ خطابه

(*) خطاب سليمان لم يكن مقتصرًا على التهديد، هو تهديد لهم في حال كانوا كافرين، غير أنّهم يمكنهم الخروج من دائرة التهديد والوعيد والخطر، إذا أكرموا أنفسهم بالإسلام وصاروا مساوين لقوم سليمان.

(*) أيها: نداء استقصائيّ للبعيد والقريب من أعيانها.

الذي يأمرها فيه أن يأتوه مسلمين﴿ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾، فكلامه كان واضحًا بلهجة قصيرة مهذّبة في الوقت نفسه، يأمرهم فيها بعدم التكبّر والتعاظم عما دعاهم إليه.

وفي قول سليمان ﴿ **أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴾ تحدٍّ وإشارة إلى احتمال زعزعة ملكها، حيث نهى الملكة وقومها عن التكبّر والإعراض عن أمره، ثم شفع ذلك بالأمر﴿ ائتوني مسلمين ﴾، فبعد الأمر بالنّهي كان في حديث سليمان - عليه السلام - مخرج كريم لهم بأن يأتوه بكرامة المسلمين لله، وفي ذلك لمن يفقهه شرف وكرامة؛ إذ التّوحيد وحصر الخضوع لله شرف للإنسان وكرامة بمنع عبوديته لإنسان مثله(*)، فما عليهم سوى الانقياد والاستسلام امتثالًا لما ورد عليهم في الكتاب.

وانطلاقًا من وصف القرآن لكتاب سليمان وما ورد فيه، لم تجد الملكة سبيلًا أنجع غير مشاورة الجماعة النّاصحة؛ لتعدّ إجابة شافية، وردًّا حازمًا لكتاب سليمان. ذلك أنّ سليمان الملك شاع ذكره في الآفاق، فلم يغب عن ذهن الملكة عظمة ملكه، وما له من قوة وامتداد في الجند حتّى بسط نفوذه على الجن والإنس والبهائم.

قال تعالى: ﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ**﴾ [النمل: 32].

الفتوى والاستشارة، وهما أمران مطلوبان في شؤون الحياة وترتيبها، وخاصة في سياسة الملك، والحفاظ على استمراريته؛ لأنّ أصحاب الاستشارات قد يرون في الأمر ما يغيب عن غيرهم، لهذا تكون آراؤهم مطلوبة في استبيان واستيضاح الأمور وتبيين عواقبها. غير أنّ ملأ بلقيس كانوا قليلي الحكمة، حيث نجدهم يفتخرون بقوّة شوكتهم، وجاهزيتهم لمن تسوّل له نفسه لحاق الضّرر بملكتهم. وفي نهاية المشورة ردّوا الأمر إلى ملكتهم لتنظر فيه، حسب ما يصلح لها ولتدبير شأنها، فهم رأوا استعمال القوة، ورد الصّاع صاعًا آخر على سليمان، وعدم الانصياع إلى أمره. "فالفتوى هي الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتي في السّن أي أجيبوني في الأمر الفتي" (الرازي، د.ت).

لقد وردت الفتوى بصيغة الأمر" **افتوني**" أي أجيبوني جوابًا شافيًا، فالأمر مستعجل يقتضي تدخّلًا سريعًا؛ كي يدبر شأن الملك، ويؤخذ بحزم صفوة رأي أهل الحكمة وأصحاب الرأي ليستعان بها في إدارة الموقف الحرج.

وتطييبًا لخواطر المفتين ورفعًا لمنزلتهم عند الملكة ألحقت بطلبها المشورة، قولها "ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون" وكان يمكنها الاكتفاء بطلب الفتوى لكونها الحاكمة المطلقة، غير أنّها أرادت أن تقوّي ثقتها في نفوس الملأ، وأن تبيّن أنّ أمرها أمرهم، وكلّ هذا ينم عن حنكتها، ورجاحة عقلها؛ لذا لا تريد أن" تخاطر بالاستبداد بمصالح قومها ولا تعرّض ملكها لمهاوي أخطاء المستبدين" (ابن عاشور، د.ت).

وكان الأنسب أن تقول أيّها الملأ، فالقريب لا يحتاج حرف نداء؛ إذ لا يتطلب رفعًا للصوت لدنوه من المخاطب، أو تقول أشيروا إليّ دون ترديد اسمهم مرة ثانية "الملأ" إلا أنّ المقام وهول الموقف ألحّا عليها جعلهم بمنزلة البعيد؛ لاستقصاء الجمع العظيم من الملأ والإفادة من كلّ ذي حكمة.

والتعبير بـ" كنتُ" فيه انزياح أسلوبيّ بديع نرجئ الحديث عنه إلى مبحث لاحق.

وفي قولها: **"حتّى تشهدون"** دلالة على مكانة المشورة والأخذ بأسبابها، وبخاصة إذا تعلّق أمر الاستشارة بأكابر القوم وعليتهم الّذين يتبصّرون عاقبة الأمور، ويجعلون الخطط المثاليّة الّتي ترسّخ سيادة الدّولة، وتقوّي من شوكتها. والملاحظ أنّها قصدت في قولها **" تشهدون "** أمرًا هامًا ليس مجرد حضور الجسم، والاكتفاء بما تقوله هي، بل أرادت أن يعبر كلّ من الملأ عمّا يدور في ذهنه بحريّة ويسر دون أن يجد حرجًا في نفسه؛ لأنّ الغرض من المشورة نتيجة حاسمة تناسب حجم النّازلة، من هنا أجمعوا على أمرهم قائلين﴿ **قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ** ﴾ [النمل: 33].

ب. القوة والبأس الشديد، النّظر، الأمر، الفساد، العزة، الذلّة.

وانتظارًا لفتوى أهل الحلّ والعقد جاءت الفتوى مدمجة بإظهار المنعة والتأهّب للقتال، فالخلاصة المجمع عليها من الملأ "**نحن أولوا قوّة وأولوا بأس شديد**"، مرادهم بالقوة والبأس إظهار الاستعداد الكامل للحرب، وفي ذلك قال الزّمخشري موضّحًا المعنى: "أرادوا بالقوّة: قوّة الأجساد وقوّة الآلات والعدد. وبالبأس: النّجدة والبلاء في الحرب" (الزمخشري، 1998)؛ أي أنّهم أهل قوّة، فلا خوف عليهم من أيّ أحد مهما بلغت قوته، فتلك هي فتيا النّازلة حسب رأيهم، بيد أنّ القرار النّهائيّ يرجع إليها، فهي ذات الرأي والتّدبير، وهم مجرّد أعوان يقترحون ما يسهم في تثبيث ملك صاحبة الجلالة. **"والأمر إليك"**، أي موكول ومسنود إليك، ونحن رهن إشارتك، اتّخذي القرار الّذي بدا لك صوابه، ونحن معك نفديك بأنفسنا، ونحميك ببأسنا، فكأنّهم يقولون لها: نحن لسنا من أبناء الرّأي والمشورة، وإنما من أبناء الحرب، وفي كلامهم إظهار مبالغة لطاعة وليّة الأمر.

"**فانظري**" من التأمّل والتّفكّر، وهو أمر من النّظر، ولمّا كان المقصود بذلك تدقيق النّظر، والتّريّث من أجل التثبّت من الأمر قبل ترحيله إلى دائرة التفكّر (أبوغزالة، 2016)، كان التأمّل حاجة ملحّة تستوجب التمهّل والتفحّص لملاحظة أطراف الموضوع ومعرفة ما يطلب منها؛ لأنّ قرار بلقيس هو الفيصل وعليها أن تتدبر في عواقبه؛ لهذا حثّوها على التفكّر بتؤدة.

(*) خطاب سليمان لم يكن مقتصرًا على التهديد، هو تهديد لهم في حال كانوا كافرين، غير أنّهم يمكنهم الخروج من دائرة التهديد والوعيد والخطر، إذا أكرموا أنفسهم بالإسلام وصاروا مساوين لقوم سليمان.

أمّا قوله تعالى: **"ماذا تأمرين"**، ففيه تسليم بما ستتخذه الملكة حول النّازلة، وهم بدورهم معلنون الالتحام ورصّ الصّف حولها، وحماية حوزتها. وقد أشادوا على طاعتهم و"حسن محاورتهم؛ إذ وكّلوا الأمر إليها، وهو دليل على الطّاعة المفرطة" (الأندلسي، د.ت).

هذا اجتهاد المفتين في النّازلة، فما رأي الملكة إزاء رأي مجلس شورى وزرائها؟ هل ستوافق على رأيهم وتستعدّ للحرب؟ أم أنّها تذهب إلى الهدنة والسّلم؟.

لم تستسغ الملكة مضمون الفتوى؛ لأنّ القوّة والبأس لا يزيدان الموقف إلّا تأزّما ووبالًا- كما ستصرّح به بلقيس بعدُ -؛ لأنّ لكلّ قوة طاقة محدودة، حيث يوجد من هو أصلب وأقوى منها، من هنا تداركت بلقيس الموقف، زاعمة أنّ الملوك أقوى بأسًا وأشد فتكًا من غيرهم، لا يبالون بحال أيّ كان إذا دخلوا البلاد عنوة وقهرًا (ابن الجوزي، د.ت)، فهم لا يتأبّى عليهم شيء؛ لذا يكون من المهم محاورتهم، وخطب ودهم. وقد كانت بلقيس حكيمة غير متهوّرة، حيث أظهرت خواص عقل النّساء وهو لطفهنّ، وتفكيرهنّ في ردود فعل الطّرف المقابل، وإعراضهنّ عن التكبّر والمخاطرة بالأنفس.

ونظرًا لعدم توفيق الفتوى في تبصير العاقبة، ردّت عليهم بلقيس، مبيّنة لهم قوة بطش الملوك، فليس المخاطب كما تصوّرتم، تستطيعون كبحه ومجادلته، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّة** ﴾ [النمل: 35].

لقد حدّدت المعالم الأساسيّة للملك الدّاخل على الأرض قهرًا وتسلطًا، مشيرة إلى أسوء نتائج الغزو، وحصرت ذلك في أمرين:

أ. الفساد **"أفسدوها"** بالتخريب والبطش، وكثرة الإتاوات، وكل هذا لا حاجة لنا إليه.

ب. تقلب الأحوال فبدخول الغزاة تتبدّل الأحوال، حيث يصير العزيز صاحب المُلك ومن معه مهانين، ستداس كرامتهم بسبب جبروت الغزاة المتسلّطين، قال الزمخشري: "أذلّوا أعزّتها، وأهانوا أشرافها، وقتلوا وأسروا، فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها" (الزمخشري، 1998).

وجدت بلقيس صيغة الماضي مناسبة للتعبير عمّا تعلمه من سِير الملوك، وإن كان سياق المحاورة يقتضي التّعبير بالمستقبل؛ لأنّ المحدّث عنه ما زال غائبًا، فالأمور ما زالت قيد التّشاور، إلا أنّ خبرتها بصنيع الملوك ومعرفتها بسيرهم وفظاعة وشناعة أفعالهم، جعلاها تعبّر بالماضي تأكيدًا وتخويفًا لقومها، وتقريعًا لهم، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾، إشارة إلى أنّ هذا هو المتعارف عليه، الشّائع من فعل الملوك القاهرين لمن خرج عن حوزتهم.

وفي آخر المحاورة لجأت بلقيس إلى الحيلة والخداع، حفاظًا على ملكها؛ لذا "رأت المصالحة بإرسال هدية إلى سليمان - عليه السلام - لترى أثرها عنده" (مجمع البحوث الإسلامية، 1993) غير آبهة بالقوّة التي يدّعيها جندها؛ لأنّ مرسل الكتاب – سليمان عليه السلام – له صفات عظمى من السّهل عليه إزالة ملكها، وجعلها ذليلة بعد أن كانت صاحبة عزّ وشرف؛ لذا اقترحت تقديم مال لترى ما عند سليمان، هل يقبل المال فتمدّه بالمزيد، ويسلم لها ملكها، أم إن رسالته أشرف من أن تخدع بالدّنيا وزهرتها. ونظرًا لفزعها وشدّة خوفها من أن يخيب سعيها في إرضاء سليمان، صرّحت لجندها مدّعية أنّ رد سليمان هو الفيصل الذي من خلاله ترى الحل الأمثل.

قال تعالى: ﴿ **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ [النمل: 35].

فلما ظهر لبلقيس أنّ إشارة الملأ إلى الحرب غير موفقة، أرادت أن تختبر سليمان لترى نيته تجاهها؛ لهذا قالت: **"و إنّي مرسلة إليهم بهدية"**، فأسلوب التّأكيد لم تستعمله اعتباطًا وإنّما قصدته، تسكينًا لخواطر الملأ، وتنبيهًا إلى جدّيتها في إدارة الأزمات؛ لأنّ الحزم والتّصدي للأحداث قبل وقوعها أسلم من المباغتة؛ لهذا لم يكن بدّ من إرسال رسالة إلى صاحب الكتاب؛ جسًّا لنبضه، ولتعلم من خلال مراسلاته بعض ما ينوي فعله تجاه الملكة وقومها.

"و إنّي مرسلة إليهم بهدية"، إنّي: توكيد واستقلال بالقرار، وذلك أنّها عندما طلبت المشورة من ملئها وأعطتها لهم، وجدت أنّ الحكمة الموجودة عندها أفضل من حكمتهم، فاستقلت وانفردت بقرارها مؤكّدة عليه بحرف التّوكيد (إنّ). مرسلة: اسم فاعل، يدل على تبنّي الأمر والقيام عليه والقطع فيه دون تأخير أوتردّد، فناظرة: الفاء تفيد التّعاقب دون تراخٍ، فهي لن تنتظر بعد أن استقلّت في تبنّي الانتظار والنّظر(التمعّن بحكمة) المتعلّق بما يرجع عن سليمان عليه السّلام.

اختارت لفظ الهدية جبرًا للقلوب، لعلّ الطّمع في المال يكون هو الباعث على إرسال الكتاب، وذلك لمّا "علمت أنّ الهدية تقع موقعًا من النّاس" (القرطبي، د.ت)، لكن هنا أخطأ حدسها، فالمرسل إليه خزائنه ملأى لا حاجة تدعوه إلى الزيادة من المال، بل غرضه من إرسال الكتاب دعوتها وقومها إلى عبادة الله، وإنقاذ النّاس من نرجسية الضّلال.

وفي هذا الوقت الحرج لم تجد ما يسكن روعها غير الجملة الاسمية المحاطة بأساليب التّوكيد، فلا خيار أمامها سوى الانتظار **" فناظرة بم يرجع المرسلون"** حتى يرد ردّ سليمان الحاسم، ولعلّ قولها فناظرة الخ" فيه حدس عن سرعة المنتظر من سليمان. فالقلب مفزوع، لا قرار له؛ إذ في نفسها ترقّب شديد لجواب سليمان" فلعلّه يقبل ذلك ويكفّ عنّا، أو يضرب علينا خراجًا نحمله إليه في كلّ عام، ونلتزم له بذلك ويترك قتالنا ومحاربتنا" (شاكر، 2005).

المقطع الثاني:

﴿ **قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ۝ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ۝ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝** ﴾ [النمل: 41–44].

في هذا المقطع الثاني انقلبت الموازين، ذلك أنّ الطرف الأقوى في الحجاج الأوّل صار حلقة ضعيفة فهو لا يؤدي الفعل الكلامي اختيارًا، ولا يصدر أوامر بل مشدود الوثائق.

نكّروا لها عرشها، نكّروا: غيّروا و" **تنكير الشّيء**" يكون بالزّيادة فيه أو الإنقاص منه (ابن منظور، 1997)، وقد أمر سليمان بتغيير هيئة العرش ليلبس على بلقيس أمره اختبارًا لذكائها؛ لذا قال" نكّروا" أي اجعلوا أعلاه أسفله، ومقدّمه مؤخره (النسفي، د.ت).

وقد أريد بالاستفهام في **قوله تعالى: "فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ"** التقرير، فتراه قد أعطى الخطاب دفعة قوية، وفي قولها:**"كَأَنَّهُ هُوَ"**، إشارة إلى وقوعها في الشّك والتّوهّم، فلم تتمكّن (بلقيس) من الجزم بأنّ ما تراه هو عرشها الذي تركته خلفها، لكنّ فيه شبه به؛ لذا لجأت إلى التّشبيه بقولها:" كأنّه هو"؛ لأنّها خلّفته وراءها، فلم تقرّ بذلك ولم تنكر، فعلم سليمان كمال عقلها.

فمن الملاحظ أنّ الملكة حافظت في إجابتها على مستويين هما:

أ. الإيجاز من جهة، وهو إيجاز يتطلّبه المقام، فالملكة ما زالت في حيرة من أمرها ولا تدري المصير الذي ينتظرها؛ لذا قصدت الإيجاز في الإجابة تسريعًا وتفويتًا للفرصة؛ مخافة سؤال آخر قد تنجر عنه عواقب لا تحمد.

ب. التّوازن من جهة أخرى، فتراها لم تنكره رغم اختلافه ولم تؤكده رغم عظم شبهه، وفي هذا تكرار للمنهج نفسه المتّبع من قبلها (المنهج الدّبلوماسيّ) وانتظار لما يأتي به الملك سليمان من برهان جديد يفصل في الأمر.

ونلحظ هنا خصّيصة أسلوبيّة بديعة استاثر بها هذا المقطع؛ إذ كان الفعل في الحجاجين بصيغة (قيل) الدّالة على حذف الفاعل، فربّما يفهم من تغييبه التّقليل من شأن وأهميّة الأمر، وعدم إظهار الأمر (حمل العرش) بأنّه جلل، فالمُلك (عند سليمان)، يضمن بإذن الله ما هو أعظم ممّا هو موجود عند بلقيس، من ثمّ قدّم الحديث إلى بلقيس على سبيل الهاجس الّذي يستقرّ في نفسها إذا ما صدّقه عقلها، فهو عظيم عندها رغم ضآلته أمام ملك سليمان.

قال تعالى: ﴿ **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ** ﴾ [النمل: 44]، الصرح" القصر أو صحن الدّار"، "صَرح ممرد: أي مسقف بسطح، فمن أراد مجاوزته لم يحتج الى تشمير ثيابه" (الجمل، د.ت).

ولمّا لم يكن أمر عبّر بـ(قيل) عندما أراد تنبيهها على أنّ الذي أمامها قصر، وليس كما تصوّرت من أنّه لجة ماء. وفي هذا دلالة على عظم ملك سليمان، وما وسع ملكه من التّرف وحسن الزينة. فالملكة بلقيس لم تكن صاحبة بدو لا تعرف القصور المشيّدة، والزّرابي المنضدة، بل كانت صاحبة عرش عظيم، غير أنّ ملكها لا يداني ملك سليمان. وقد دفعتها هذه العظمة على الإيمان والانقياد لله رب سليمان.

المبحث الثاني: بنية الحجاج المنطقيّ

وقوام هذا المهيع التّسلسل في طرح القضايا والأفكار بغية الإقناع، والأخذ بيد المخالف إلى ما يريده المتكلّم، طواعية دون تعنيف ولا إحراج، بل بقوّة البراهين والأدلّة الواضحة، سواء كان دليلًا مشاهدًا أو معنويًا يُحتمل أن يقع.

كانت ملكة سبأ ذات ملك عظيم دبّرته بعقل حصيف، الأمر الذي مكّنها من أن تزن أمورها بميزان عدل لا عوج فيه، حيث وازنت بين صرامة المكانة الملك وإرضاء شعبها.

يتّضح التّسلسل في طرح القضايا والأفكار بصورة جليّة في مقطعين هما:

أ. المقدّمة الأولى:

جعلتها إخبارًا عن الحدث الطارئ، قال تعالى: ﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَ أْتُونِي مُسْلِمِينَ** ﴾ [النمل: 29–31]. وهذا عرض منطقيّ جميل؛ لأنّ المخبر ينبغي أن تصوّر له الخبر بطريقة عفويّة، فلو أُلقي الخبر عليه بصيغة التّهويل والإلزام لتثبّطت عزيمته وخارت قواه، الأمر الّذي يسبّب له التّوتر والقلق، وخاصة في الأمور الجسام كالحرب التي تطلب التّؤدة والتّروي، وقد تجنّبت بلقيس ما من شأنه أن ينغّص على قرار المستشارين حول النّازلة. وكانت لغتها صريحة من حيث إنشاد الغرض المتوخّى.

ب. المقدّمة الثّانية:

وهي ناتجة عن الأولى، ذلك أنّ الخبر الّذي قصّته بلقيس عليهم يتضمّن جوابًا، وليس كلّ جواب يصلح له، فهو من ملك عظيم؛ لهذا طلبت من أولي العقول أن يعطوها حلًّا، ﴿ **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ** ﴾ [النمل: 32].

وإذا كان الكتاب لم يرسل عبثًا بل يحمل التّهديد والتّخويف، فما الحلّ إذن؟ من هنا ساغ لها أن تستفسر عن الحلول النّاجعة، الّتي تحفظ الملك وأهله ورعيّته﴿ **قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ** ﴾ [النمل: 33].

قال تعالى: ﴿ **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ** ﴾ [النمل: 34]، وبالتبصّر والتّأمل في عمق الخطب تجلّى رقي أسلوب الملكة في الحجاج، حينما بان الرّأي عندها عما رآه القوم، فقد أخذت التّفاصيل، والدّقائق في الاعتبار، واحتسبت لعواقب الأمر، عندما غلّبت المحافظة على الدّولة ذات العيش الرّغيد، والجنان الوارفة؛ إذ فارقت سبيل الحرب إلى سبيل السّلم، وبيّنت أنّ الحرب سبب في هدم الحضارات وإعدام القيم

وذلّ الأمم، ثمّ رجّحت بلقيس سلوك طريق المحاورة والهدنة خاصّة إذا كان المخاطب ملكًا عظيمًا لا قدرة لأحد عليه؛ لأنّ قوتهم ستتلاشى عند أوّل وهلة من بعثات جنده، الذين سينكلون بهم، فيكونون سببًا في زوال النّعمة عنهم.

قال تعالى:﴿ **قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [النمل: 44].

في الآية تسلسل منطقيّ عجيب، وسلّم تراتبي فريد، مناداة الرّب، فذكر ظلم النّفس؛ لذا ترى بلقيس قد خاطبت الخالق بلفظ (الرّب)، وفي هذا خضوع واعتراف بربوبيّة الله وإنكار لكلّ كفر سابق بوصفه بظلم النّفس، وقد خاطبت بلقيس هنا(الرّب) بحذف أداة النّداء؛ لما امتلأت به من اقتراب للفطرة بوعي وإدراك لماهيّة الظّلم في الطّغيان والابتعاد عن مراد الله، وهذا دالّ على إعجاز أسلوب القرآن، ونقله للأحداث، والتّعبير عنها بألطف الألفاظ، وأوجزها في الدّلالة على المعنى المراد. ومن ألطف ما دلّت عليه- أيضًا - أنّها نقلت لنا خاتمة بلقيس، حيث اعترفت بتقصيرها في عبادة غير الله، ثم أظهرت إنابتها وتوبتها بدخولها في دين الله ربّ كلّ العالمين، فكانت نتيجة حوارها مسك ختام ملؤها الإيمان بالله، والخضوع، والتبرؤ ممّا كانت عليه من الشّر وعبادة الشّمس؛ لذا عطفت بـ(الواو) إسلامها على ما استهلّت به من استغفار عند قولها: "رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي"؛ منعًا لتأخير التّوبة، وهروبًا من ظلم الذّات، وفرارًا من دائرة الكفر بأقصى سرعة إلى دائرة الإيمان بالله وبرسوله سليمان عليه السّلام.

المبحث الثالث: الرّوابط الحجاجيّة و أثرها في البناء النّصيّ

ولها دور أساس في ترابط الجمل، وانسجام النّص، وتآخيه، فالنّصّ كائن لغويّ، وليحقق غرضه الإقناعي والتّأثّري في المخاطب كان لا بدّ من حسن سبكه لشدّ انتباه المتلقّي، من هنا ظهر الدّور المحوريّ للأدوات؛ إذ تولّف النّص والتحام جمله بعضها إزاء بعض، وربط قضاياه"وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججًا في الخطاب" (الشهري، 2004).

وخلال تتبّع خطاب بلقيس وقفت الدّراسة على بعض الرّوابط والأدوات الحجاجيّة؛ استنادًا إلى طبيعتها والدّور الّذي تلعبه في دعمها للمحاججة؛ وتلك الروابط هي: **"الواو" و"الفاء" و"حتى" و"إذا" و"إن" و"الهمزة"**، فأما حرفا العطف(الواو، الفاء)؛ فلأنهما يقومان بالربط بين قضيتين (حجتين) لنتيجة واحدة، ووصفهما سلمًا حجاجيًا يُخضع هذه الحجج إلى تراتبية معينة بحسب قوتها في دعم النتيجة النهائية، وكذلك بسبب كثرة تداول (الواو) داخل الخطاب، والحوارات اليوميّة. أمّا الرّابط الحجاجي (حتّى) فقد تمت دراسته؛ لأنه يربط بين حجج متساوقة لها نفس التوجه الحجاجي، وتخدم نفس النتيجة، ولكن الحجة الثانية بعده أقوى من الحجة التي قبله، والرّابط (إذا) يجعل الحجّة تقتضي النتيجة، في علاقة اقتضائيّة بين السّبب والنتيجة.

1. الرّابط الحجاجيّ (إنّ):

تعدّ كلّ من **(إنّ) و(أنّ)** من الرّوابط الحجاجيّة ذات الأهميّة في الخطاب التّداولي، حيث يسعى المتكلّم من خلال استعمال أيّ منهما إلى إقناع السّامع بشدّ انتباهه إلى ما يريد؛ لأنّها في الخطاب تخلق جوًا فسيحًا خاصًا به؛ إذ تمنح الحجاج قوة التّأثير وحسن الإقناع، وليس معنى هذا أنّها دائمًا للتّوكيد قال عصام الدّين "لا ينحصر فائدة أنّ في تأكيد الحكم نفيًا لشك أو ردّ الإنكار، ولا يجب في كلّ كلام مؤكّد أن يكون الغرض منه ردّ إنكار محقّق أو مقدّر" (التفتازاني، د.ت).

المثال: قال تعالى:﴿ **أيها الملأ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾ [النمل: 29–31].

تصوّر الآيات جانبًا من إخبار بلقيس مجلس شوراها عن عظمة كتاب سليمان، وما تضمّنه من تهديد ووعيد لها. والظّاهر أنّه ترك في نفسها اشمئزازًا، وصدمة عميقة ترجمت ذلك بحضور مكثّف لأداة التأكيد (إنّ). قال ابن عاشور:" التّأكيد بـ(إنّ) في الموضعين، يترجم عمّا في كلامها باللّغة السبائيّة من عبارات دالّة على اهتمامها بمرسل الكتاب، وبما تضمّنه الكتاب اهتمامًا يؤدّى مثله في العربيّة الفصحى بحرف التّأكيد، الّذي يدلّ على الاهتمام في مقام لا شكّ فيه" (ابن عاشور، د.ت).

ووصل الرّابط (إنّ) بالضّمير فيه تقوية للخطاب، كما يشعر بقصديّة التّأثير وإقناع المخاطب بما يُلقى عليه، وكلّ هذا نجده في خطاب بلقيس لدى استخدامها للرّابط (إنّ).

نمثّل لتلك الجمل حجاجيًا على النّحو التّالي:

ح1	↑	إنّي ألقي إلي كتاب كريم.
ح2		إنّه من سليمان.
ح3		إنّه بسم الله.

وفي عدم التّكبر عند سماع مضمون الكتاب، ثم المسارعة إلى لقاء سليمان مستسلمين، نلحظ نتيجة مركّبة من مقدّمتين، لكلّ منهما إسهام في الحجاج البلاغي؛ إذ تضمّنت الأولى نهيًا وضح في قوله تعالى: **"أن لا تعلو عليّ"**، وهو بدوره له تأثير إقناعيّ في نفس السّامع، وإمالته عن رغبته إلى ما يريد النّاهي، فالنّهي يشي بسلطة يتمتّع بها النّاهي.

احتوت المقدّمة الثّانية على الأمر، تحدّد ذلك في قوله تعالى: **"و ائتوني مسلمين"**، وفيه تأكيد سلطة الملك، أشعر به النّهي السّابق، وأنّه غير منازع في ما يريد؛ لذا على الملكة وجندها الإذعان، وعدم التّكبّر.

إنّ استهلال المقدّمات بأسلوب التّأكيد المشفوع بالضمير دالّ على أهمية النّتيجة؛ لذا سارعت الملكة في عقد مؤتمر لأعوانها كي تجنّب ملكها الكوارث. وقد أدّى الرّابط (إنّ) جانبًا مهمًّا في إثارة نفوس الملأ؛ تهويلًا لأمر الكتاب ليبرموا أمر مشاورتهم بنتيجة تثلج صدر الملكة، وتمنحها الطّمأنينة على ملكها وجندها.

ومن الملاحظ أنّ الربط بـ(أنّ) كان مصحوبًا بالضمير في جميع الآيات، فالضمير فيه مزيد تأكيد، حيث يتعاضد مع (إنّ)؛ ليعطيان للكلام تفخيمًا يقرّر في ذهن السّامع أهميّة ما يلقى عليه، وأنّه يطلب منه مزيد استصغاء.

2. الرّابط الحجاجيّ (الواو):

تعدّ **الواو** من أهم الرّوابط الحجاجيّة التي تُحدث علاقة تركيبيّة بين أجزاء معيّنة من الجملة؛ وذلك بالرّبط بين الحجج المتساوقة، التي تخدم نتيجة ضمنية واحدة يوجه القول بمجمله نحوها(النّجار، 2013)؛ تقوية للحجج وزيادة في تماسك بعضها ببعض من أجل تحقيق نتيجة مرجوّة، وهي عند اللّغويين القدماء تفيد التّتابع بين زمنيّ الحجّتين بطريقة متسلسلة، حيث يَلحقُ اللّفظ التابعُ (المعطوف) متبوعَهُ (المعطوف عليه) بوساطة (حرف عطف) لتأديةِ معنىً مُعيَّنا، فالسّارد يبني نصّه على هذه العلاقة، فيجمع بين الحجج توخّيًا لنجاعة خطابه، ما يجعله خطابًا متماسكًا يؤدّي دوره الإقناعي المنوط به، وهو إقناع المتلقي.

المثال الأوّل: قال تعالى:﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [النمل: 30].

كتب النبيّ سليمان– عليه السّلام – خطابَه إلى(بلقيس) التي يعلم أنّها ليست من أهل الكتاب؛ لأنّ الهدهد أخبره أنّهم قوم وثنيّون في قوله تعالى:﴿ **وجدتّها وقومها يسجدون للشّمس من دون الله** ﴾ [النمل: 24]؛ لذا لم يفتتح كتابه بـ(البسملة) كما هو مقرّر ومعروف لعدم معرفتهم بها.

يومئ تكرار حرف التّوكيد(إنّ) في الجملة المستأنفة المسوقة للردّ على سؤال مقدّر، كأنّهم قالوا ممّن هو؟ وما هي منطوياته؟ إلى اختلاف بين المعطوف والمعطوف عليه،"بأنّ المراد بالمعطوف عليه" **إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ**" ذاتُ الكتابِ" (الدليمي، 2013) الذي صدّره سليمان باسمه - فطنة منه - لهدفين هما:

أ. أنّ بلقيس ربّما لو لمحت اسم (الله) لتفوّه لسانها بشيء يتعدّى الحدود، فرفق بها سليمان، وجعل إن كان من هجاء أو تعدٍّ يكون على اسمه (هو).

ب. وضوح أثر ذلك فيها، بمعنى أنّها إذا سمعت باسم (سليمان) وأنّه ملك عظيم، تقع الهيبة في قلبها، وهو ما أراده.

أمّا المعطوف المفتتح بالتّسمية ﴿ **وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾، فالمراد به معناه "وما اشتمل عليه من الكلام، وتضمّنه من القول" (الشوكاني، د.ت)؛ إذ لم يتجاوز مضمونه ثلاث جمل كان أوّلها: ذكر" اسم الله "، وبيان رحمانيته وسعة رحمته، أمّا ثانيها فهو الأمر الموجّه إلى بلقيس وجندها بضرورة تركها الاستعلاء والغرور؛ لأنّهما مصدر المفاسد الفرديّة والاجتماعيّة، وتسليمها وإذعانها للحقّ كان محتوى الجملة الثّالثة في كتابه.

وبذا تكون الواو قد حقّقت ربطًا نسقيًّا أفقيًّا في البناء النّصيّ بين جملتين متعاطفتين هما:(وإنّه بسم الله الرّحمن الرّحيم) و(إنّه من سليمان) في الجملة السّابقة لها؛ لأنّها تشي بأنّ بلقيس كأنّما فصلت ما بين (سليمان) وما بين ذكر (البسملة)، الّتي أحدثت تأثيرًا إقناعيًّا في نفسها، وضح في إمالتها وإبعادها إلى ما أراده(سليمان) فكان منها ذاك الفصل الملحوظ خشية وتأدّبًا؛ إذ لم تقل (إنّه من سليمان بسم الله الرّحمن الرّحيم)، "وهذا من خصوصيات إعادة العامل بعد حرف العطف مع إغناء حرف العطف عن ذكره" (ابن عاشور، د.ت).

ويمكن التّمثيل للرّابط الحجاجيّ على النّحو التّالي:

ح:	**(الواو)**	ن:
(إنّه من سليمان)	**رابط حجاجيّ**	**(وإنّه بسم الله الرّحمن الرّحيم)**

المثال الثّاني:﴿ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُإِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾(53).

بدأت الآية بـ﴿ **قَالُوا نحن** ﴾ وهو ردّ موجز زاد الكلام بسطًا؛ لتمكّنه ووقوعه موقعه، لمستشاري بلقيس وأشراف قومها في أثناء تحاورها معهم، وطلبها منهم أن يجمعوا رأيهم ليفتوها في أمرها بعد تدقيقهم النّظر في المسألة الّتي أشعرتهم بغموضها، وقد دلّ سلوكها هذا على تعظيمها لأمر المشورة والمستشار؛ وذلك عندما اتّبعت معهم (المنهج التّشاوريّ)، المشار إليه في قوله تعالى:﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ [آل عمران: 159]، فما كان منهم إلّا أن أبدوا لها ولاءهم وطاعتهم بقولهم: ﴿ **وَالأَمْرُإِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ** ﴾. وهكذا، أبدى أكثريّتهم رغبته في الاعتماد على القوّة والقتال، بتعبير يوحي بقدرتهم على إحداث الخوارق، واستعدادهم لكلّ هول بقولهم:﴿ **نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ** ﴾.

أدّى الرّابط (الواو) دورًا مهمًّا في بيان منعتهم وتأهّبهم للقتال، ولعلّ هذا الاختلاف بين "القوة" و"البأس" في التّعبير يبرز من جانبين هما:

1. الجانب (الكمّيّ) الذي يبيّن كثرة القادرين على القتال والغلبة، والعارفين بأساليبه، والممتلكين وسائله، وذلك عندما قالوا: "نحن أولوا قوّة".

2. الجانب (الكيفيّ) الذي يشير إلى كيفيّة العمل، فهم أصحاب النّجدة والشّجاعة في ساحة الوغى، وذلك عندما قالوا: "أولوا بأسٍ".

ومن ثمّ تراهم قد فوضوا الأمر إليها بقولهم:﴿ **وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾؛ تأدّبًا، فحاشيتها لم تخرج عن حدود الأدب معها، على الرّغم من عاطفتها، واندفاعها، ونشاطها نحو ملكتها؛ لذا هي عندهم صاحبة الكلمة الفصل، والأمر بين يديها تقطع فيه بما تراه مناسبًا.

3. الرّابط الحجاجيّ (إذا):

من المعلوم أنّ تقييد الجملة بالشّرط يأتي لأغراض وأسرار بلاغيّة يقتضيها المقام، حيث تعدُّ **إذا** من الروابط الحجاجيّة الأكثر توظيفًا في علاقة(اقتضائيّة)؛ إذ تجعل" الحجَّة تقتضي تلك النّتيجة اقتضاءً....، بحيث تغدو العلاقة ضربًا من التّلازُم بين الحُجَّة والنّتيجة"(الدّريدي، 2008).

وبذا، تراها تمنح الحجاج قصديّة في التّأثير وحسن إقناع للمخاطب، فصاحبة سبأ إلى التّأثير في نفوس قومها؛ لإطفاء رغبتهم في الحرب، وإقناعهم بما تميل إليه باطنيًّا بأسلوب حكيم، تلوّح لهم فيه بأنّ السّلم أجدى من الحرب، وأنّ ملاينة سليمان– عليه السّلام – أفضل من مجابهته ومواجهته بالقوّة.

المثال:﴿ **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾ [النمل: 34].

حقّقت بلقيس بكلمات معيّنة معنى غزيرًا قصدته، فأرشدت مستشاريها لرأيها الذي بدأ بـ(قالت)، "وهو جواب محاورة، وفيه حذف: إنّ الملوك **الجبابرة** إذا دخلوا قرية عنوة وغلبة أفسدوها" (عكاشة، 2014)، مؤكّدة رأيها باستعمالها حرف التّوكيد (إنّ)؛ ليصبّ قومها اهتمامهم على الخبر الذي تحمله إليهم، ولتأكيد حدوثه في حال دخول مملكتها تحت سلطة سليمان في قوله تعالى: "إنّ الملوك"، معبّرة بالاسم (الملوك) المجموع جمع تكسير دون غيره من الأسماء في هذا السّياق؛ إذ الأصل أن تستعمل السّالم منها فتقول: "إنّ الحاكمين"، وهو ما أكّده الأستراباذي بقوله:" اعلم أنّ الأصل في الصّفات ألّا تكسّر؛ لمشابهتها الأفعال وعملها عملها" (الأستراباذي، د.ت)، حيث يدل المفرد (مَلِك) وهو صفة مشبّهة على الثّبوت من (مَلَكَ) أي صاحب الأمر والسّلطة على أمّة أو بلاد لمدى الحياة (ابن منظور، 1997).

وفي عدولها عن الأصل إلى الفرع انعكاس دلاليّ نفسيّ، فقد آثرت بلقيس استعمال التّكسير هنا؛ لتترجم صرفيًا خبرتها بالعمل السّياسيّ التي أتاحت لها المجال لمعرفة الكثير عن طبائع الملوك، ودربتها المكتسبة من نشأتها في قصر والدها الملك العظيم (شراحيل بن مالك).

وفي قولها:" إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلّة"، قيّد النّظم الكريم الفعل (أفسدوها) بأداة الشّرط (إذا) التي تستعمل في الشّرط المقطوع بوقوعه (الصّعيدي، 1999)، فأفاد الرّابط الحجاجيّ إذًا استدلالًا وقياسًا بشواهد التّاريخ الماضي (ابن عاشور، د.ت) على ما يفعله الملوك عندما يدخلون قريةً عنوة، فيعيثون فيها فسادًا وتخريبًا، ويهينون أشرافها، ويذلّون أعزّتها بقرينة المقام، ولكي تستحكم لهم الوطأة، وتتقرّر لهم المهابة في القلوب، فإنّ أوّل ما يفعلونه هو إقصاء الحاكم وحاشيته؛ لأنّ الخطر يتوقّع من جانبهم، ثم يقلبون نظامها، فيغيّرون أنظمتها وقوانينها إلى ما فيه خدمة لمصالحهم.

4. الرّابط الحجاجي (الهمزة):

تعدُّ الأفعال الكلاميّة من الأدوات اللّغويّة؛ لأنّ لها وظيفة تداوليّة مرتبطة بقصد المخاطب، ويعدّ الاستفهام من أقوى تلك الأفعال حجاجًا؛ "لأنها توجّه المرسل إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عنها"(الشهري، 2004)، فيطرحون السّؤال الذي يمكن أن يضخّم الاختلاف بين طرفين حول موضوع ما، كما يمكن أن يلطّف بينهما في اختلافهما حول موضوع ما.

والهمزة في اللغة تُستعمَل في طلب التّصور من جهة؛ أي عند التّردد في تبيين أحد الشّيئين، ويكون ذلك بتوجيه السّؤال نحو طرف واحد في كلّ الجملة، وفي التّصديق من جهة أخرى؛ أي إدراك علاقة شيء بآخر، ولإدراك تلك العلاقة نحتاج إلى كثير من التأمّل، وقد سمّي التّصديق تصديقًا؛ لأنّه طلب تعيّن الثّبوت والانتفاء في مقام التّردد (السكاكي، د.ت).

المثال: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ** ﴾ [النمل: 42].

حمل السّؤال قيمة حجاجيّة في خطاب سليمان عليه السّلام، حينما جاء بأداة الاستفهام المعروفة في مبحث **علم المعاني** عندما توجّهت بلقيس إلى فلسطين بموكب عظيم جدًا، فيه اثنا عشر ألفًا من وجوه اليمن، تحمل معها ذهبًا وحجارة كريمة؛ كي يكفّ بأسه عنهم، وقبل انطلاقها نحوه كانت قد أمنت واطمأنّت بأنْ أودعت عرشها الثّمين في قصرمنيع مخصوص محوط محروس، موكّل به حرّاسٌ أشدّاء. هذا اجتهاد بلقيس قبل سيرها إلى سليمان، فما السّبب الذي دفعه إلى جلب عرشها ثمّ تنكيره له؟ وهل ستتعرّف بلقيس عليه أم لا؟.

لم تكن بلقيس تعلم بالمحاورة التي دارت بين سليمان وأصحاب القدرة من ملئه، عندما أمرهم تغيير شكل وهيئة عرشها بالزّيادة فيه والإنقاص منه؛ ليحقّق الأمر الذي أراده من وراء جلبه وتنكيره، وهو أن يعلّم بلقيس درسًا يفيدها في دنياها وأخراها، يكمن في أنّ وقوعها في الوهم واستبعادها أن يكون العرش عرشها؛ لأنّها خلّفته وراءها في أرض اليمن صدّها عن معرفة الحقيقة، وهي أنّ ما تراه أمامها هو عرشها، كذلك صدّتها أوهام دينها عن معرفة أنّ **الإله الحق هو الله الّذي لا إله غيره**، وذلك في قوله تعالى:﴿ **قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنْ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ** ﴾ [النمل: 44].

فلمّا جاءت قرعها سليمان بكلمة تشتمل على: هاء التّنبيه، وكاف التّشبيه، واسم الإشارة، مصدّرة بهمزة الاستفهام بقوله:﴿ **أَهَكَذَا عَرْشُكِ** ﴾ المراد بها إقرار

واعتراف المخَاطب بأمر قد استقر ثبوتًا أونفيًا عنده (الثوابية، 2014)، وقد استعان بالإشارة في الصّورة التّشبيهيّة؛ فظهرت في دائرة البيان والإيضاح، وولجت في تصويره ما يدلّ على قدرتها على حمل المعنى، وأدائه على أتمّ وجه، وليس هناك أقوى منها في إبراز المعنى الذي وافق اللّفظ في صورة محسوسة من جهة، وملموسة من جهة أخرى.

دلّل استعمال همزة الاستفهام متلوّة بالشّيء الذي تقرّر بها في خطّة سليمان الخطابيّة الاستراتيجيّة، عند طرحه السّؤال على بلقيس بقوله: ﴿ **أَهَكَذَا عَرْشُكِ**﴾ على حكمته التي عرف بها بدليل قوله تعالى: ﴿ **ففهمناها سليمان وكلًا آتينا حكمًا وعلمًا** ﴾ [الأنبياء: 79]، وذكائه، وفِراسته الّتي ينظر فيها بنور الله، فاستدلّ بها على خُلق بلقيس الباطن ممّا ظهر له من خُلقها الظّاهر. أتى سليمان باسم الإشارة على غير أصله؛ ليقطع بالحقّ صدودها عن الحقيقتين السّابقتين، فسؤاله لها عن سرير ملكها لم يكن بأحد التّركيبين (أهذا عرشك؟) أو(هذا عرشك؟)، وإنّما حالت كاف التّشبيه بين هاء التّنبيه واسم الإشارة؛ لئلا يكون ذلك تلقينًا لها(الأندلسي، د.ت)، مع أنّ الهاء تقترن في الأصل به، لكنّ الكاف فصلت بينهما لمباشرة حرف الجرّ للمجرور، ولو أُتي بحرف جرّ آخر غيرها؛ لما جاز هذا الفصل.

يوحي التّشبيه بسلطة يتمتع بها سليمان (السّائل) في سؤاله لبلقيس: **أهكذا عرشكِ**؟ أي: هل عرشكِ يشابه العرش الذي ترينه؟؛ إذ نلحظ على إثره نتيجتين، لكلّ منهما سرّ بلاغيّ، تضمّنت الأولى دعوتها إلى إمعان النّظر في صورة العرش الحاضر أمامها؛ لملاحظة أوجه الشّبه بينه وبين عرشها، الذي يحملُ إرثها التّاريخيّ والثّقافيّ، ويرمز لقوّتها وسلطانها، فالعرش عرشها بدليل قول مقاتل: "عرفته، ولكن شَبَّهت عليهم كَمَا شَبّهوا عليها" (الخازن، د.ت) ففيه علامات وأمارات قد ألفتها، ولا تستطيع أن تنكرها رغم إحداث بعض التّغييرات الشّكليّة.

وفي النتيجة الثّانية جاء السّياق القرآنيّ؛ ليوضّح ثبات بلقيس، وتماسكها في هذا الموقف العصيب، الذي لم يسلبها اتّزانها ورويّتها عند ردّها بإجابة مطابقة لسؤال سليمان من جانب، ومطابقة لمقتضى الحال من جانب آخر، أبرزته في صورة تشبيهيّة بقولها: ﴿ **كَأَنَّهُ هُوَ**﴾، فلأنّه قيل لها: (أهكذا؟) يعني: (أهو مثل هذا؟) طابق جوابها سؤاله، وذلك أنّ عبارة (كأنّه) تؤكّد قرب الشّبه بينهما، حتّى كادت أن تقول: (هو هو). وأمّا مطابقته لمقتضى الحال، فيكمن باشتغال فكرها بما داهمه، حيث ظهر ذلك عند امتناعها عن الجزم والإقرار بأنّه هو، فبلقيس لم تقل: إنّه هو، وفي الوقت نفسه لم تنكره؛ ثقة منها بأنّ ما عُرض أمامها هو عرشها، على الرّغم من التّغيير والتّنكير الّذى ألحقه به سليمان، بقصد إيقاعها في حيرة من أمرها بعد رؤيتها له؛ لأنّها خلّفته وراءها خلف الأغلاق، فيشكل ويشتبه عليها، فما كان منها إلّا أن جوّزت المعجزات، وأذعنت لها بقولها: ﴿ **وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ** ﴾ [النمل: 42]، **أي: "**وأوتينا العلم بكمال قدرة الله، وصحّة نبوّتك من قبل هذه المعجزة أو من قبل هذه الحالة، بما شاهدناه من أمر الهدهد. **وما سمعناه من رسلنا إليك، وكنّا مؤمنين من ذلك الوقت" (المراغي، د.ت)**، فعلم سليمان بذا رجاحة عقلها.

5. الرّابط الحجاجيّ (الفاء):

تعدّ الفاء من الرّوابط الأساسيّة في نسج علاقة بين الجملة، وترتيبها على نسق يسود فيه التّناغم. والفاء حسب اللّغويين القدامى تفيد السلّم التّراتبية بين زمنيّ الحجتين في إطار البناء النّصيّ، أي أنّ زمن تحقيق المعنى في المعطوف متأخّرًا عن زمن تحقيقه في المعطوف عليه (حردان، 2008).

المثال: قال تعالى:﴿ **وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** ﴾ [النمل: 35].

ربطت الفاء بين فـ(ناظرة بم يرجع المرسلون) بـ(مرسلة) في الجملة الّتي قبلها، وهنا نرى الفاء أفادت معنى جميلًا في الخطّة الخطابيّة؛ لأنّها أعلمتنا أنّ الانتظار كان حاصلًا بعد إرسال الهديّة. فهي بعثت الرّسالة وفي نيّتها أنّ تدبير الأمر لا يكون حتّى ترى ما يفعل بهديّتها. وهنا خصّيصة أسلوبيّة لها استراتيجيّة خطيرة، حيث استعمل في الخطابين الحجّة - وإنّي مرسلة-، والنّتيجة فـ(ناظرة) اسم الفاعل وهذا لا نجده في استخدام الفعلين (أرسل ونظر)؛ لأنّ اسم الفاعل استأثر بالثّبات والدّوام في كلا الصّيغتين، ممّا يجعل خطابها ثابتًا حتّى ترى موقف سليمان إزاء الهديّة، فلو عدلت إلى صيغة الفعل لأمكنها التّحوّل عن موقفها قبل التوصّل الى ردّ سليمان.

ويمكن التّمثيل للرّابط الحجاجيّ على النّحو التّالي:

ح:	← (الفاء) ←	ن:
إنّي مرسلة إليهم بهدية	رابط حجاجيّ	فناظرة بما يرجع المرسلون

الخاتمة:

لقد كانت هذه الدّراسة منصبّة على موضوع الحجّاج في القرآن، وخاصّة حجّاج المرأة، بحثًا عن مميزات لغتها، وأسلوبها وتصدّيها لمجريات الأحداث المحدّقة بها.

وعليه، فقد تبين لها بعد تسليطها الضّوء على الخطاب الحجاجي لدى(بلقيس)، ومحاولتها تفكيك جملة من البنى الحجاجيّة المكوّنة له، ورصدها الانتقال

في مستويات الخطاب أنّ بلقيس في بعض الحلقات كانت العنصر الموجّه للخطاب بغية الإقناع والتّأثير في نفوس السّامعين، وذلك عند تربّعها على المُلك في المقطع الأوّل، أمّا في المقطع الثّاني فكانت العنصر الأضعف؛ لذا اتّسم خطابها بالليونة واللّطف.

كشفت الدّراسة عند معالجتها خطاب بلقيس عن بعض الرّوابط الحجاجيّة الّتي كان لها دور في تماسك النّص وانسجام جمله، مع ما أضيف له من معانٍ حجاجيّة أكسبته خاصيّة الإقناع والتّأثير في المرسل إليه، سواء كان مشاهدًا له - كحال السّامعين آنذاك - أو متدبّرًا له كحالنا، وكلّ هذا دالّ على حسن وصف القرآن للأشياء، وتصويره البديع لنقل الأحداث الماضية.

المصادروالمراجع

الأستراباذي، ر. (ت 686ه)، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده، حققهما وضبط شواهده: محمد الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد عبد الحميد، بيروت: دار الكتب العلميّة، (د.ت)، (د.ط)، ج2.

الأندلسي، م. (ت 745ه)، تفسير البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق: أحمد الموجود، وعلي معوّض، شارك في تحقيقه: زكريا النوتي، وأحمد الجمل، قرّظه: عبد الحي الفرماوي، بيروت: دار الكتب العلميّة، (د.ت)، (د.ط)، ج7.

التفتازاني، س. (ت 792ه)، المطوّل" شرح تلخيص مفتاح العلوم"، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلميّة، (د.ت)، (د.ط).

الثّوابية، هـ الاستفهام البلاغيّ في شرح ديوان الحماسة للمرزوقيّ، دراسات العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، عمّان – الأردن، العدد1، السنة 2014، المجلد 41.

الجمل، س. (ت 1204ه)، الفتوحات الإلهيّة بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفيّة، ضبطه وصححه وخرّج آياته: إبراهيم شمس الدّين، بيروت: دار الكتب العلميّة، 2018، ط1، ج5.

ابن الجوزي، ع. (ت597 ه)، زاد المسير في علم التّفاسير، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: أحمد شمس الدّين، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، د.ط، ج6.

حردان، ص. (2008)، الواو والفاء وثمّ في القرآن الكريم" دراسة نحوية دلالية إحصائية"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2008.

الخازن، ع. (ت 725ه)، تفسير الخازن المسمّى" لباب التأويل" في معاني التّنزيل، ضبطه وصححه: عبد السلام شاهين، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت، د.ط، ج3.

الدّريدي، س. (2008)، الحِجاج في الشّعر العربي القديم، من الجاهليّة إلى القرن الثّاني للهجرة بنيته وأساليبه، الأردن: عالم الكتب الحديثة، وجدارا للكتاب العالمي، ط1.

الدسوقي، م. (ت1230ه)، حاشية الدّسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ضبطه وصححه ووضع حواشيه: عبدالسلام أمين، بيروت: دار الكتب العلميّة، (د.ت)، (د.ط)، ج2.

الدّليمي، ع. (2013)، الإعجاز البلاغي في القصّة القرآنية "دراسة في سور الطّواسين"، ط1، عمّان: دار غيداء.

الرّازي، ف. (ت 606ه)، مفاتيح الغيب، د.ط، بيروت: دار الكتب العلميّة، (د.ت)، ج12.

الزّمخشري، م. (ت 538ه)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط1، تحقيق وتعليق ودراسة: أحمد عبد الموجود، ومحمد عوض، الرّياض: مكتبة العبيكان، 1998، ج4.

السّكاكي، ي. (ت 626ه)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلميّة، د.ت.

شاكر، أ. (2005)، عمدة التّفسير عن الحافظ ابن كثير"مختصر تفسير القرآن العظيم، ط2، أعدّه: أنور الباز، المنصورة: دار الوفاء، ج2.

الشّهري، ع. (2004)، استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداوليّة"، ط1، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.

الشّوكاني، م. (ت 1250ه)، فتح القدير الجامع بين عليّ الرّواية والدّراية من علم التّفسير، (د.ط)، دار الأرقم، (د.ت)، ج1.

الطّبري، م. (ت 310 ه)، تفسير الطّبري "جامع البيان عن تأويل القرآن"، ط1، ج5، بيروت: مؤسسة الرّسالة، 1994.

طروس، م. (2005)، النظريّة الحجاجيّة من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقية واللسانيّة، ط1، الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

ابن عاشور، م. (ت 1868ه)، التّحرير والتّنوير، (د.ب) الدار التونسية، (د.ت)، (د.ط)، ج19.

عبد الرّحمن، ط. (2000)، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، الدّار البيضاء: المركز الثقافي العربيّ.

عكاشة، م. (2014)، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة: دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، ط1، القاهرة: دار النّشر للجامعات.

علمي، ع. بحوث علميّة محكّمة في الحجاج "دراسات لأنواع الخطاب"، مراجعة وتدقيق: عبد الرزاق العسري، وكمال حمان، مركز الكتاب الأكاديميّ، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت).

أبو غزلة، م. (2016)، منظومة التّعقّل من خلال التفكر في الكون: "دراسة في أساليب الدّعوة من خلال القرآن الكريم"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشّرعيّة والقانونيّة، الشّارقة، العدد 2، المجلّد 13.

الغلاييني، م. (ت 1944ه)، جامع الدروس العربيّة، ط1، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

القرطبي، م. (ت 671ه)، الجامع لأحكام القرآن، ضبطه وحققه وقابل مخطوطاته: سالم البدري، (د.ط)، ج13، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت.

مجمع البحوث الإسلاميّة (1993)، التفسير الوسيط، ط1، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، (د.ب).
محفوظ، ع. فن الخطابة وإعداد الخطيب، دار الاعتصام، (د.ن)، (د.ب)، (د.ط)، (د.ت).
ابن منظور، ج. (ت 711ه)، لسان العرب، ط6، ج2، بيروت: دار صادر، 1997.
المراغي، أ. (ت 1364ه)، تفسير المراغي، ط2، ج19، بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، د.ت.
النّسفي، ع. (ت 710ه)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، قدم له: قاسم الرفاعي، راجعه وضبطه وأشرف عليه: إبراهيم رمضان، (د.ط)، بيروت: دار القلم، د.ت، ج1.
لكحل، س. (د.ت)، الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السّلام، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، د.ت.
النّجار، ن. (2013)، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللّغوي، ط1، الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية.
الصعيدي، ع. (1999)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، (د.ط)، القاهرة: مكتبة الآداب، ج1.

References

Abdul Rahman, T. (2000). Fi Osul Al-Hiwar va Tajdid Ilm Al-Kalam, First Edition, Dar El Beïda: Arab Cultural Center.

Abu Ghazla, M. (2016). Mandumat Al-Taqol min Khelal Al-Tafakor fi Al-Kawn: Dirasa fi Asalib Al-Dawa min Khelal Al-Qur'an Al-Karim, University of Sharjah Journal of Sharia and Islamic Studies, Sharjah, No. 2, Volume 13.

Akasha, M. (2014). Tahlil Al-Khetab fi Daw Nazariat Ahdath Al-Lugha: Dirasa Tatbiqia Li Asalib Al-Tasir va Al-Iqna Al-Hojaji fi Al-Khitab Al-Noswi fi Al-Qur'an Al-Karim, First Edition, Cairo: Dar Annashr for Universities.

Alami, A. Bohuth Ilmia Mohakkama fi Al-Hojaj: Dirasat li Anwa Al-Khitab, reviewed and edited by Abdul Razaq Al-Asri and Kamal Haman, Academic Book Center, D.B.

Al-Andalusi, M. (745 AH). Tafsir Al-Bahr Al-Mohit, surveyed, investigated and commented on by Ahmad Al-Mojud and Ali Maawad. Co-edited by Zakaria Al-Nuti and Ahmad Al-Jamal, and admired by Abdul Hay Al-Farmawi, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.Seventh Edition.

Al-Disuqi, M. (1230 AH). Hashiat Al-Desuqi ala Maghni Al-Labib an Kotob Al-Ararib, edited, corrected and its footnotes were written by Abdul Salam Amin, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, Volume 2.

Al-Doraidi, S. (2008). Al-Hejaj fi Al-Shir Al-Arabi Al-Qadim, min Al-Jaheliah Ela Al-Qarn Al-Thani lil Hijrah bi Niateh va Asalibeh, Jordan: Modern Books World and Jidara International Book, First Edition.

Al-Dulaimi, A. (2013). Al-Ijaz Al-Balaghi fi Al-Qussa Al-Qurania: Dirasa fi Sur Al-Tawasin, First Edition, Amman, Dar Ghaidaa.

Al-Ghalaeeni, M. (1944). Jame Al-Dorus Al-Arabia, First Edition, Beirut: Dar Ihya Al-Torath Al-Arabi.

Al-Jamal, S. (1204). Al-Fotuhat Al-Ilahia bi Tawdih Tafsir Al-Jalalin lil Daqaeq Al-Khafia, edited, corrected and its verses were made by Ibrahim Shams Ad-Din, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, 2018, First Edition, Volume 5.

Al-Khazen, A. (725 AH). Al-Khazen Interpretation known as "Lbab Al-Tawil fi Maani Al-Tanzil" edited and corrected by Abdul Salam Shahin, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, Volume 3.

Al-Maraghi, A. (1364). Tafsir Al-Maraghi, Second Edition, Volume 19, Beirut: Dar Ihya Al-Torath Al-Arabi,

Al-Najar, N. (2013). Al-Itijah Al-Tadawoli va Al-Wazifi fi Al-Dars Al-Loghawi, First Edition, Alexandria: Horus International Foundation.

Al-Nasfi, A. (710 AH). Madarek Al-Tanzil va Haqaeq Al-Tawil, presented by Qasem Al-Rifaee, reviewed, edited and supervised by Ibrahim Ramadan, Beirut: Dar Al-Qalam. Volume 1.

Al-Qurtobi, M. (671 AH). Al-Jame li Ahkam Al-Qur'an, edited and corrected by Salem Al-Badri, Volume 13, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Al-Razi, F. (606 AH). Mafatih Al-Ghaib, Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, Volume 12.

Al-Saeidi, A. (1999). Beghiat Al-Idah Le Takhlis Al-Miftah fi Olum Al-Balagha, Cairo, Literatures Library, Volume 1.

Al-Shahri, A. (2004). Istratigiat Al-Khitab: Moqaraba Loghawiah Tadawolia, First Edition, Beirut: OEABOOKS.

Al-Shokani, M. (1250 AH). Fath Al-Qadir Al-Jame Bain Elmai Al-Riwaya va Al-Diraya ma Ilm Al-Tafsir, Dar Al-Arqam, Volume 1.

Al-Tabari, M. (310 AH). Tafsir Al-Tabari: Jame Al-Bayan an Tawil Al-Qur'an, First Edition, Volume 5, Beirut: Al-Resalah Institute.

Al-Taftazani, S. (792 AH). Al-Motawwal Sharh Takhlis Miftah Al-Olum, edited by Abdul Hamid Hindawi, Beirut: Dar Al-

Kotob Al-Ilmiyah.

Al-Thawabia, H. Al-Istifham Al-Balaghi fi Sharh Al-Hamasah lil Marzuqi, Humanities and Social Sciences Studies, Amman, Jordan, No. 1, 2014, Volume 41.

Al-Zamashkhari, M. (538 AH). Al-Kashaf an Haqaeq Ghawamez Al-Tanzil va Oiun Al-Aqawil fi Wojuh Al-Tawil, First Edition, Volume 4. Investigated, commented on and studied by Ahmad Abdul Mawjud and Mohammad Awadh, Riyadh: Obeikan Library.

As-Sakaki (626 AH). Miftah Al-Olum, Naeem Zarzur, (no publication available), Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah,.

Esterabadhi, R. (686 AH). Sharh Shafia ibn Al-Hajeb ma Sharh Shawahedeh, edited and confirmed by Mohammad Al-Hasan, Mohammad Al-Zafraf, and Mohammad Abdul Hamid, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah, Second Edition.

Hardan, S. (2008). Waw and Fa and Thom in the Noble Qur'an: A Syntactic, Semantic and Statistical Study, unpublished M.A. thesis, An-Najah National University, Nablus.

Ibn Al-Jawzi, A. (597 AH). Zad Al-Masir fi Ilm Al-Tafasir, its verses and sayings were articulated and its footnotes were authored by Ahmad Shams Ad-Din, Volume 6. Beirut: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah.

Ibn Ashur, M. (1868). Al-Tahrir va Al-Tanwir, Volume 19. D.B. Al-Dar Al-Tunisia.

Ibn Mandour, G. (711 AH) Lisan Al-Arab, Sixth Edition, Volume 2, Beirut: Dar Sader.

Islamic Research Foundation (1993). Al-Wasit Interpretation, First Edition, General Organization for Government Printing Offices, D.B.

Lakhal, S. (n.d.). Al-Hojaj fi Khetabat Al-Nabi Ibrahim Alaih Al-Salam, unpublished M.A. thesis, University of Tizi Ouzou, Algeria.

Mahfuz, A.(n.d.). Fan Al-Khetaba Va Idad Al-Khatib, Dar Al-Etisam, D.N, D.B.

Shaker, A. (2005). Omdat Al-Tafsir an Al-Hafez ibn Kathir: Mokhtasar Tafsir Al-Qur'an Al-Azim, Second Edition, edited by Anwar Al-Baz, Mansoura: Dar El Wafaa, Volume 2.

Tarus, M. (2005). Al-Nazaria Al-Hojajia min Khilal Al-Dirasat Al-Balaghia va Al-Manteqia va Al-Lisania, First Edition, Dar El Beïda: Dar Al-Thaqafa for Publication and Distribution.